مغناطيس إلهي؟
ما هو هذا المغناطيس؟

بـدأت التفكيـر فـي هـذه الفكـرة حيـن كان أبنائـي صغـار السـن. فبينمـا كنـا فـي سـيارتي ذات مـرةٍ كانـت ابنتـي تتحـدثُ مـع إحـدى صديقاتهـا فـي الكرسـي الخلفـي. قالـت واحـدة منهـن: «**إنـه مغناطيس فتيـاتٍ**.» كانتـا تتحدثـان عـن أحـد الفتيـان فـي فصلهما، ومـن الواضح أنـه كان شـديد الجاذبيـة لا سـيما لفتيـات الصـف الرابـع.

فكـرت للحظـة فـي ذهنـي «**مغناطيـس فتيـات...**» **أود أن أكـون كمغناطيـس بيـن يـدي الله... مغناطيـس يجـذب النـاس ليسـوع..**

هذا هو ما يدور حوله هذا الكتاب...

كل إنسان يمكنه جذب الناس للمسيح (حتى أنت)

«وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ.»
يوحنا ١٢: ٣٢

ينظر الكثيرون من المؤمنين للكرازة على أنها عمل روتيني، أو على أنها مسؤولية مرهبة. فهم يظنون أن عليهم أن يتجادلوا مع الناس لكي يقنعوهم بأهمية نوالهم «الخلاص». وهذا الأمر يجعلهم تحت ضغط مفرط، ويجعلهم يشعرون بالهزيمة حين لا يرون نتائج. يقول الكثير من المؤمنين ببساطة: «أنا لست مدعوًا للكرازة». فهم لا يريدون لأحد أن يزعجهم بالمسؤولية مفضلّين تركها للقس / الراعي أو لشخص آخر.

الحقيقة هي أن الله يريد أن يستخدم جميع أولاده – حتى أنت – للوصول لجميع الناس بخبر يسوع المسيح السار! أتمنّى أن يشجّعك هذا. الله لم يُعط هذا الامتياز للملائكة وإنما لكنيسته فقط. ومن يُدعَون أبناء الله بالحقيقة لديهم فرصة عظيمة لتقديم الخبر السار للآخرين. الحقيقة أننا جميعًا مسؤولون عن فعل هذا الأمر. يا له من فرح ذاك الذي تشعر به حين تُصلّي مع أحدهم ليستقبل المسيح كربّ ومُخلّص شخصي لحياته.

ربما لا تكون كارزًا موهوبًا كأحد الذين تعرفهم، ولكن الله يريد أن يجذب غير المؤمنين للرب يسوع المسيح من خلال حياتك. الله يريدك أن تكون «مغناطيس» إلهي بين يديه. هذه هي الفكرة التي يدور حولها هذا الكتاب: السماح ليسوع بأن يحيا حياته من خلالك لكي تتمكّن من جذب الآخرين للمسيح.

بينما نرفع يسوع، سيجذب هو الناس لنفسه. هو الذي يقوم بالعمل من خلالك ومن خلالي. جميع المسيحيين يمكنهم أن يجذبوا الناس للمسيح بسبب حياته فينا. جميع الناس يحتاجون ليسوع، وجميع الناس من حقهم أن يحصلوا على فرصة يسمعوا فيها عنه.

هل تذكر السلام الذي شعرت به في البداية حين قبلت المسيح؟ كان بالفعل «**فرحٌ لا يُنطَقُ به ومجيد**» (بطرس الأولى ١: ٨). في السنوات الأولى من إيماني بالمسيح اختبرت فرحًا عظيمًا حين كان الله يستجيب لصلواتي البسيطة أو حين كنت أقرأ الكتاب المُقدَّس وأعثر على إعلانٍ ثمين من الكلمة. كنت أشعر ببركة عظيمة لأني أعرف الله. وكان اختبار هذا الفرح الإلهي هو الدافع الأول الذي شجّعني على أن أخبر الآخرين بالخبر السار الخاص بيسوع المسيح – وحياته وموته وقيامته، وعن الحياة الأبدية التي يهبها لمن يقبلونه.

قبل أن يصبح يسوع المسيح ربّي ومُخلّصي كنت ضالاً في الظلام. كان أمرٌ مذهلٌ بالنسبة لي اكتشاف أن يسوع المسيح يقدّم لي هبة الحياة الأبدية. كل ما كان عليّ هو أن أشارك بها الآخرين. فقد كانت «كأسي تفيض». بدأت أنا وأحد أصدقائي في الشهادة عن المسيح في المدرسة الثانوية. ولاندهاشي الشديد بدأ الناس يعطون حياتهم للمسيح. حقيقي أن بعضهم رفض الرسالة (ورفضونا)، ولكنه كان ثمنًا زهيدًا للنتائج المبهرة التي نتجت عن شهادتنا بين من آمنوا!

مضت على هذه الأحداث ٣٠ سنة، ومنذ ذلك الحين تمتعت بامتياز مشاركة إيماني مع الكثيرين. كم أنا مندهش من الكيفية التي يتلامس بها روح الله مع القلوب ويغيّرها. في أثناء مشاركة إيماني مع الآخرين اختبرت أفراحًا وأتراحًا، وأود أن أخبرك من خلال هذه الخبرات عن الدروس التي تعلّمتها في مسيرتي مع الرب.

ليس علينا أن نسأل الله عن الكرازة أو عن إن كان يرغب منّا أن نشارك إيماننا مع آخرين، حيث أنه قد أوضح هذا الأمر بجلاء في كلمته كما يقول صديقي القس جاي: «الحرفان الأول والثاني من اسم الله God بالإنجليزية هما كلمة «Go» أو «اذهبوا». فكرة الإرسالية العظمى مبنية على كلمات متى ٢٨: ١٨- ٢٠

«دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأمم وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ». آمِينَ.

هذا الكتاب ليس في الحقيقة كتابًا حول «الكيفية» ولكنه فرصة للنظر لكلمة الله وتتبُّع المبادئ التي يمكن تعلّمها منها عن كيفية مشاركة إيماننا. سأستخدم أحيانًا أمثلة شخصية لتوضيح خبراتي. ولكن هذا لا يعني أننا لن نتحدث عن الطرق المحددة التي يمكن استخدامها لمشاركة إيماننا بل على العكس. فهناك بعض الأدوات الممتازة التي سنتحدّث عنها قرب نهاية الكتاب. ما أود أن أُعَلِّمُكَ إياه هو كيف يمكنك مشاركة إيمانك مع الآخرين بفعالية، لكي تعرف متى وكيف يمكنك استخدام الأدوات المتاحة بين يديك.

هذا الكتاب يتحدث عن ثلاث أفكار رئيسية:

١- التعارف – التحدث للقلب.

٢- الإعداد – أنت رسالة حية.

٣- التقديم – رسالة واحدة – طرق متعددة.

لدينا حرية مذهلة في المسيح، فالله دعانا إلى الحرية! أعرف الكثيرين من المؤمنين الذين يشعرون بالخوف من الكرازة أو الذين يشعرون أنها ثقل على كاهلهم. قد تكون واحدًا منهم!

ربما تعرف أن عليك أن تشارك إيمانك، ولكنك لا تشعر بالارتياح أو بالقدرة على فعل هذا الأمر. أود أن أشجّعك أن تُصلّي أن يكون هذا الكتاب سبب بركة لحياتك.

الفصل ١

كيف أصبح الفتَى اليهودي اللطيف تابعًا للمسيح؟

لا يمكن لأي يهودي يحترم ذاته أن يكون مستعدًا لأن يصبح «مسيحي مؤمن». فكيف أصبح فتىً يهودي صغير مثلي مؤمنًا بأن يسوع هو المسيا؟ دعني أشارك اختباري معك.

ولدت في عصر ازدهار حياة الأطفال في عام ١٩٥٩ حيث كان عصر الراحة الذي تلى الحرب العالمة الثانية، وقبل ظهور فريق البيتلز، وقبل حرب فيتنام، وعهد «الحب المجاني» المليء بالجنس، والمخدرات، والروك آند رول. أبي – والذي كان يبلغ من العمر ٤٢ عامًا حين وُلِدتُ – كان أحد الناجين من معسكرات تطهير «موثوزن» في النمسا، وقد قضى سنوات شبابه في معسكرات عمل شيطانية، وفي موثوزن المرعبة، لا يفعل شيئًا إلا محاولة النجاة بحياته من هذا الجحيم. وقد احتمل صعوبات

كثيرة بسبب النازيين لدرجة أنه كان فعليًا جلد على عظم حين تم تحريره في مايو ١٩٤٥ حين كان يبلغ من العمر ٢٨ سنة. ما الجريمة التي كان مسجونًا من أجلها؟ لا شيء غير أنه كان يهوديًا.

كان بقاؤه على قيد الحياة بمثابة معجزة، وفي الكثير من الأحيان ظلت أحداث لا يمكن تفسيرها تبقيه على قيد الحياة حين اقترب جدًا من الموت. في إحدى المرات ضربت عاصفة ممطرة المساجين وكادت أن تغرقهم بينما كانوا يُنقلون معسكرٍ لآخر. ورغم أنهم ظلوا يرتجفون في البرد إلا أنهم في النهار – ولدهشتهم جميعًا – وجدوا الأرض حولهم كلّها مغطاة بالقواقع. وكانت كثيفة جدًا لدرجة أنهم لم يتمكنوا من رؤية الحشيش الموجود أسفلها – فقط كانوا يرون بحرًا من القواقع البنية اللون – وكانت غزيرة جدًا لدرجة أن بضعة آلاف من السجناء الذين يعانون من سوء التغذية، ملأوا بطونهم بسلقها وتناولها. قال أبي أن هذا كان مثل المن الذي كان يهبط من السماء. حين أفكر في تلك الحادثة وفي المرات الأخرى التي سدد الله فيها احتياجات أبي في المعسكر، فتفسيري الوحيد هو أن الله كان لديه هدفًا لحياته.

بعد الحرب عاد أبي إلى موطنه في سلوفاكيا، ولكن الشيوعيون سيطروا بسرعة على الحُكم. وكان على أبي أن يغادر أوربا الشرقية، فحياته قد انتهت هناك، مثله مثل آلاف اليهود، فهاجر

إلى كندا ليبدأ حياة جديدة هناك بأحلامٍ وآمالٍ جديدةٍ. وصل إلى ميناء هاليفكس عام ١٩٤٩ وهو يبلغ من العمر ٣٢ سنة، ولا يمتلك إلا القليل جدًا من المال، ولم تكن له عائلة قريبة، وكانت معرفته باللغة الإنجليزية ضئيلة جدًا.

في نهاية المطاف استقر في لندن بأونتاريو، حيث التقى بأمي. تزوجا في عام ١٩٥٤ وكانت أمي ابنة وحيدة، نشأت وتربت في كندا، وكانت ابنة لأبوين يهوديين غادرا بولندا قبل الهولوكوست. كانت عائلة أبي من اليهود الأرثوذكس المتشددين، بينما كانت عائلة أمي من اليهود المتحررين، وكانا لا يحضران الإجتماعات إلا في أيام الأعياد.

وُلدَ أخي الأكبر هوارد في أكتوبر عام ١٩٥٥ ووُلِدتُ بعده بأربعة أعوام، وبعدما وُلِدتُ بخمسة أعوام بارك الله عائلتنا بأخت اسمها بريسكيلا. وقد تم ختاننا أنا وهوارد أخي بينما كنا طفلين على يد حاخام مسئول عن طقوس الختان. تمت تسمية كل منا على اسم أحد الأقارب الذين ماتوا قبل ولادتنا.

الأسماء لها أهمية خاصة في الثقافة اليهودية. من المعتاد تسمية الأبناء على اسم بعض الأقارب المتوفين للإبقاء على ذكراهم حَيَّة. وقد أصبح هذا الأمر ذو أهمية أكبر لا سيما بالنسبة لمن مات بعض أقاربهم في الهولوكوست.

وقد سميت على اسم جدي لأبي **هيرشل**، وجدي لأمي **موشى**. واما اسمي الإنجليزي – هارفي مارتن – فهو الاسم المسجل في شهادة ميلادي، ولكن اسمي اليديي[١] هو موشى هيرشل. الكثيرون من اليهود لديهم اسمين، أحدهما إنجليزي والآخر عبري أو ييدي.

نشأت في مدينة كان بها مجتمع يهودي صغير ولكنه مؤثر. حين كنت أبلغ ٦ سنوات جاء رجل غريب يرتدي ملابس سوداء وله لحية سوداء طويلة إلى بيتنا ليتحدث مع أبي، وشرح له أنه كان يريد أن يبدأ مدرسة يهودية في المدينة وأنه كان يحتاج لخمسة أطفال ليفعل هذا. وطلب من أبي أن يسمح لي بأن أكون أحد هؤلاء الخمسة.

ووافق أبي، ومنذ ذلك الخريف أصبحت تلميذًا في الصف الثاني في المدرسة اليهودية بلندن. كنا ندرس اللغة اليهودية ودراسات يهودية في الصباح، وكنا ندرس المواد العادية في الظهر. تعلّمت قراءة اللغة العبرية وأصبح هذا هو أساس صلواتنا اليومية التي كنا نتلوها كل صباح عند بدء الدراسة من (Siddur) أو كتاب الصلوات الخاص بنا.

---

[١] اليديية لهجة من لهجات اللغة الألمانية كان ينطق بها اليهود لا سيما من كانوا يعيشون في الاتحاد السوفيتي وبعض الدول الأخرى– المترجم

كنا ندرس ثقافتنا العظيمة وميراثنا المتميز بفخر، وبدأنا نشعر بسلسلة نسبنا والتي ترجع إلى أبونا إبراهيم، اليهودي الأول. وياله من امتياز حين اتذكر أن عائلتنا – منذ الأجداد – لعبت دورًا في قصة الفداء العظيمة. اسم عائلتنا هو كاتز وهو مشتق من الكلمات العبرية التي تعني «كاهنٌ بارٌ» ووفقًا للتقليد يُعتقد أننا من نسل هارون، رئيس الكهنة، الذي كان شقيق موسى.

الهوية اليهودية مرتبطة جدًا بأن يكون المرء جزءًا من جماعة. فكيهود، يحمل كل واحد منا مسؤولية جماعية نحو ثقافتنا، ومجتمعنا. الصلوات تقدم لله في مجموعة لا تقل عن ١٠ رجال تسمّى **مينيان**. ونحن نصلّي بتلاوة الصلوات من (السيدور)، باتحاد مع التسعة الآخرين الذين يُكوِّنون المينيان.

لكي يعمل المجتمع اليهودي بشكل فعّال لابد من وجود مجمع للجماعة للصلاة بما لا يقل عن عشرة رجال كما أسلفنا الذكر. كما أننا نحتاج للحوم المحللة لنا، ولحَمَّام للشعائر يسمّى **ميكوفا** حيث يمكن لمن يعتبرون نجسين الاغتسال، ونحتاج كذلك لربَّاي، وقائد لجوقة الترتيل. الرباي أو «المعلّم» هو القائد الروحي للجماعة اليهودية. دوره الأساسي هو تعليم اليهود القوانين والعادات الخاصة بشعبهم.

أمّا قائد جوقة الترتيل فهو من يقود الجماعة في الترتيل، ولابد له من الحصول على قدر كبير من التدريب لكي يتمكن

مـن تـلاوة الصلـوات المحـددة والمزاميـر، والقـراءات التوراتيـة. النـوت الموسـيقية لليهـود تختلـف تمامًـا عـن الأصـوات والنغمـات الغربيـة التـي نعرفهـا.

أمـام التابـوت المُقـدَّس تقـف البيمـا حيـث يقـف مـن يقـود الترتيـل ليقـود الجماعـة فـي الصلـوات وحيـث يتـم إخـراج لفائـف أسـفار التـوراة ووضعهـا لتُقـرأ فـي أثنـاء فتـرات القـراءة. وإخـراج اللفائـف واللـف بهـا فـي المجمـع قبـل قرائتها أمـام الجميـع طقسٌ بالـغ الأهمية. بعـد القـراءة يتـم لـف اللفائـف ويتـم وضعهـا فـي التابوت، ويتـم إغلاق البـاب أو السـتارة. الاجتمـاع كلـه يـدور حـول هـذه الطقـوس وينتهـي بعـد إعـادة التـوراة لمكانهـا بوقـت قصيـر.

يخاطـب الربـاي الجماعـة بكلمـة قصيـرة تسـمى «الدراشـا» حيـث يعلـق علـى القـراءة التوراتيـة ويحـاول أن يحـدد بعـض التطبيقـات العمليـة ليفكـر فيهـا الحاضـرون. فـي بعـض الأحيـان قـد يحـاول ربـط كلمتـه ببعـض الأحـداث المعاصـرة. وفـي أحيـان أخـرى تتحدث رسـالته عـن المسـؤولية اليهوديـة نحـو العالـم الدنيـوي. كنـت دائمًـا أغـادر المجمـع بشـعور متجـدد بمسـؤوليتي فـي الحفـاظ علـى تراثـي اليهـودي حيًّـا.

وفقًـا للعـادات اليهوديـة يعتبر الشـاب أو الشـابة مسـؤولاً عـن أفعاله أو أفعالهـا عنـد سـن البلـوغ. وهـي المناسـبة التـي تعـرف باسـم «بـار ميتسـفا» لـلأولاد و»بـات ميتسـفا» للفتيـات. قبـل أن أحظـى بالبـار

ميتسفا الخاصة بي قضيت عامين أستعد لتلاوة جزء خاص «هافتورا» من التوراة في المجمع. وهي القراءات الكتابية الأسبوعية، ومن المعتاد للصغار أن يقرأوا هذه القراءات حين يبلغون سن الرشد، وكان قائد الترتيل هو من يقضي الوقت معي ليعلمني كيفية ترتيل القراءات الخاصة بي.

البار ميتسفا هي مناسبة تعتبر بمثابة تكريم ومسؤولية في الوقت ذاته. فبلوغ سن الرشد أمر بالغ الجدية، ولكنه أيضًا أمر يستدعي الفرح والاحتفال. بعد الاجتماع الذي يتم في المجمع يتم تكريم الشاب أو الشابة في حالة البات ميتسفا، بعمل حفلة بها غناء ورقص وأطعمة شهية، ويتم توجيه العديد من الكلمات من أعضاء العائلة ومن الضيوف الكبار.

حضر احتفال البار ميتسفا الخاص بي حوالي ٢٠٠ شخص، وأحيت الاحتفال فرقة يهودية من تورنتو، وأغرقتني الهدايا والنقود في هذا اليوم. كما أن أبي وأمي كانا فخوران بي، وكانت المناسبة في حد ذاتها شرف كبير.

سبب ذكر كل هذه الأمور هو أنني أريدك أن تعرف أن كون المرء يهوديًا هو أمر يتجاوز الإيمان بمجموعة معينة من المعتقدات؛ فهي هوية كاملة. يبلغ تعداد سكان العالم حوالي ٨ مليار شخص اليوم، وعدد اليهود تقريبًا ١٥ مليون فقط، فهم جزء من ١٪. لقد ظل الشعب اليهودي حيًا على الرغم

مـن العديـد مـن الإضطهـادات التـي تعـرض لهـا وعلـى الرغـم مـن العديـد مـن المذابـح. أُرغِـمَ الآلاف علـى التحـول للمسـيحية، أو تعرضـوا للقتـل فـي عهـد محاكـم التفتيـش. كمـا تعرضـت الجماعـات اليهوديـة للإيـذاء الشـديد بسـبب الهجمـات الغوغائيـة المنظمـة التـي كانـت تعتبـر «مذابـح منظمـة» فـي بولنـدا وروسـيا، كمـا تسـبب الهولوكوسـت الرهيـب فـي قتـل ٦ مليـون يهـودي.

وقد ولـدت وتربيـت بشـعور عميـق بهـذه الهويـة اليهوديـة. كانـت المسـيحية دومًـا منطقـة يُحظَـرُ الاقتـراب منهـا، ولـم أكـن أرغـب فـي الاقتـراب منهـا ولـم يكـن سيسـمح لـي بـأن أفعـل. كان أبـي يحترم المسـيحيين ومـن يتبعـون أي ديانـات أخـرى، ولكننـا **كنا يهـودًا!** كنت أشـعر بمسـؤولية كبيـرة لحمـل التـراث اليهـودي. الإيمـان بالمسـيح لـم يخطـر حتـى ببالـي فـي يـوم مـن الأيـام، فقد كان أمـرٌ غيـر وارد علـى الإطـلاق.

لا يمكـن لأي يهـودي يحتـرم نفسـه أن يسـمح لذاتـه «بالارتـداد» بـأن يصبـح «مسـيحيًا». إحـدى الكلمـات التـي كانـت تُطلَـقُ علـى شـخص مثـل هذا هـي كلمـة «جشـمات» والتـي تعنـي «يدمـر». مثـل هـذا الشـخص كان يقـال عليـه «مشـوماد» أي «الشـخص الـذي تـرك إيمانـه». فيمـا يتعلـق بتـرك الدين والتحول لآخر نسـتخدم نحـن اليهود لغـة قويـة تعبـر عـن مشـاعر قويـة. حيـن تصبـح «مشـوماد» فمعنـى هـذا أنـك خنـت شـعبك وتاريخـك. معنـى هـذا أن أربعـة آلاف سـنة

من الثقافة والتاريخ اليهوديين – قد انتهت! التحول لدين آخر كان يدنس ميراثك ويُعتَبَرُ شائنًا تمامًا مثلما احتقر عيسو بكوريته.

هذا كان فهمي للخبرة اليهودية. كان ميراثنا يستحق الحماية، وهويتنا كانت تعني تحمل المسؤولية لضمان بقاء شعبنا. فكيف يمكنني التفكير في خيانة شعبي بعد كل المعاناة التي تعرض لها اليهود؟ ماذا عن أسماء أسلافي؟ ماذا عن العار الذي سأجلبه على والديَّ وعلى كل المجتمع اليهودي؟ كيف يمكنني حتى التفكير في الغير وارد؟

لم تبدأ رحلة إيماني باهتمام أو برغبة في أن أصبح تابعٌ للمسيح. بعد حفل البار ميتسفا الخاص بي أردت أن أعرف إله إسرائيل الحقيقي الحي. لم أكن أبحث عن يسوع! فيسوع كان مُخلّص الأمم، لا اليهود! فقد كنت أبحث عن الله، فقد كنت مثقفًا جدًا ويستحيل أن أقبل بسهولة «كلام يسوع» هذا، وبالإضافة إلى ذلك فهويتي اليهودية وضميري لم يكونا ليسمحا لي بالبقاء على «الضفة الأخرى». أو هذا ما ظننته.

أحد الأمور التي تعلمتها من خلفيتي اليهودية عن الله أنه قدوس، وهذا هو اسمه. الله قدوسٌ جدًا لدرجة أن اسمه، كما هو مكتوب في الكتاب المُقدَّس وكتب الصلوات، لا ينطق أبدًا. بعض الترجمات الإنجليزية لاسم الله تكتب «Jehova» أو «Yahweh» أي «يهوه». لم أسمع هذه الترجمات مطلقًا

في صِغَري. في الصلوات اسم الله الذي يقال هو أدوناي والذي يعني «Lord» أو «الرب – السيد»، وهذا أيضًا يكتب في بعض الترجمات بالحروف الإنجليزية الكبيرة: «LORD». حين كنا نتحدث عن الله كنا نشير إليه بكلمة «HaShem» – «هَشِم» والتي تعني «الاسم». كان الشعور بقداسة الله هو ما يبقيني بعيدًا عنه – وعن معرفته بشكل شخصي. بينما كنت أنمو لم أسمع قط عن العلاقة الشخصية مع الله، فهذا المفهوم لم يدخل ذهني يومًا. لم أكن أعرف أساسًا أن شيئًا مثل هذا يمكن أن يحدث.

كشاب يهودي تعلمتُ أن أُكِنُ احترامًا عظيمًا لله ولقداسته. حين كنت أذهب للمجمع للصلاة، كنت أشعر بأنني أؤدي عملا إلهيًا بالغ الجدية. كنت أصلّي الصلوات الكهنوتية المكتوبة في «السيدور» الخاص باليهود. كنت اقرأ تلك الصلوات صوتيًا فقط لأنني لم أكن أفهم العبرية بدرجة كافية لأترجمها لنفسي؛ فقد كانت العبرية هي الـ «لوشن قدش» أي «اللغة المُقدَّسة».

الصلاة لم تكن شيئًا أفهَمه ولكنها كانت مجرد فريضة أؤديها. لم أكن اتوقع أية استجابة لصلواتي، فقد كانت فقط أمر عليَّ أن أُقدمه لله. حين كنا نصلّي كنا دومًا نواجه مقدمة المجمع، والتي كانت في اتجاه الشرق نحو أورشليم.

ولكن حدث لي شيء بعد البار ميتسفا. لا يمكنني القول بالتحديد ماذا كان هذا الأمر أو متى بدأ، ولكني بدأت أبحث عن الله. في الليل كنت أذهب للفراش وأنا أتساءل: **أين هو الله؟ ما شكله؟** كنت ممتلئًا بالتساؤلات. **هل هناك إله بالفعل أم لا؟** كانت المدارس تعلم نظرية النشوء والارتقاء أي التطور، ولذا تساءلت: **ما موقع الله من هذه النظرية؟ لو كان هناك إله فلماذا سمح بالهولوكوست؟ هل هناك حياة بعد الموت؟**

استمرت هذه التساؤلات تراودني لشهور عديدة بعد البار ميتسفا. كنت أؤمن أنني الآن أصبحت مسؤولا عن خطاياي – فهل سأكون صالح بدرجة كافية لنوال الـ «تشايم بولام حاباه» – «الحياة الأبدية؟» لابد أن تكون صالحًا بدرجة كافية تؤهلك لدخول السماء حين تموت. فالله يحتفظ بسجل بجميع أعمالك ولو زادت أعمالك الصالحة عن أعمالك السيئة فستذهب للسماء حين تموت ولكن لو حدث العكس فستذهب للجحيم. كم كان هذا خَطِرًا!

وصلت في نهاية تفكير إلى أنه بالطبع لابد ان يكون هناك إله، ولكنه إله غاضب. **ألن تكون غاضبًا لرؤيتك لكل هؤلاء الناس الذين يخطئون في كل مكان وقد أخبرتهم ألا يخطئوا؟** كنت أعتقد أن مآسي الحياة كانت نتيجة لشيء خاطئ حدث في الكون، ولأنه كانت هناك خطيئة، فبالتالي كل شر في العالم هو نتيجة مباشرة أو غير مباشرة للخطيئة. فمثلا السرقة كانت

خطيئة ضد شخص آخر لأن هذا الشخص لم يكن يستحق هذا. الخطيئة تؤذي الناس. وبنفس المنطق فتدنيس المُقدَّسات هو خطية ضد الله – وهذا أمر خطير.

كنت أعتقد أنني في حاجة لأن أبذل جهدًا للتقليل من ثقل ميزان أعمالي السيئة بعمل المزيد من الأعمال الصالحة «ميتسفاس» لأضمن حقي في الذهاب للسماء حين أموت. بينما كان إدراكي لقداسة الله يتزايد، بدأ إدراكي لخطية قلبي يتزايد أيضًا. كنت أعرف أنني كذبت وعملت أمورًا خاطئة في الماضي، ولكن بدا لي الآن أن كل خطية أصبحت أكثر وضوحًا. الكبرياء، وعدم الاحترام، والكذب، وكانت هناك أشياء أخرى كثيرة تطل على أفكاري برأسها القبيح. وكلما حاولت أن أتغلب على هذه الأمور كلما غلبتني!

وبينما كنت أصلّي في المجمع في إحدى المرات امتلأت بالشعور بالفراغ الداخلي. فقلت الصلوات بصوت مرتفع؛ ورغم أنها كانت بالغة الجمال إلا أنها بدت لي بعيدة جدًا عن الله، والذي بدا أنه بعيد جدًا. وبحزن عظيم وضعت جانبًا كتاب الصلوات، وقلت في قلبي لله: «يا الله أين أنت؟» بهذه الكلمات دون أن أدرك صليت واحدة من أولى الصلوات القلبية الحقيقية للرب. ولم يحدث شيءٌ، وذهبت لمنزلي وأنا أشعر بأنني لن أتيقن أبدًا من الخلاص، ولن أعرف حتى إن كان من الممكن التواصل مع الله.

وصلت لقناعة مفادها أن الله كان قدوسًا جدًا بالنسبة لي لدرجة لا يمكنني فيها أن أقترب منه – ولكني كنت آمل أنني يومًا ما – بالكثير من الأعمال – يمكن أن أصبح مقدّسًا بدرجة كافية لإرضائه. كنت أشعر باليأس لأنه لم تكن هناك طريقة يمكن بها التأكد من هذا. وأصبحت مقتنعًا بشيءٍ واحدٍ: لو كان هناك إله، فخطيتي تفصل بين وبينه، ولكني لم أكن أعرف أي حل للتعامل مع خطاياي.

لا أذكر كم من الوقت قضيت في هذه الحالة اليائسة، ربما سنتين. لم يكن هذا موضوع حديث مع أي شخص. كان عالمي الداخلي في حالة عذاب، بينما كان عالمي الخارجي مع أصدقائي ومدرستي يبدو طبيعيًا. لم أكن أبدًا تلميذًا «جيدًا» ولكني كنت أنجح. أغلب أصدقائي في المدرسة الثانوية كانوا من غير اليهود، لذا لم أتحدث كثيرًا عن الدين. وفي بيتنا لم نكن نتحدث قط عن الله. كنا نتحدث عن كوننا يهودًا – ولكن ليس عن الله.

كنت أخشى التحدث عن الله، فقد كانت تلك القضية حساسة جدًا حتى مع العائلة – وكنت أعلم في أعماقي أنهم لا يمتلكون الإجابة على أيٍ من تساؤلاتي. كان شعوري باليأس يذهب ويجيء، ولكنه لم يختفي تمامًا. حاولت أن أجد الشبع والرضا في الصيد أو في الطبيعة أو في الأوقات الممتعة مع الأصدقاء، ولكن الفراغ

والشعور بالوحدة كانا موجودان دومًا تحت السطح. حين كنت أختلي بنفسي مع أفكاري، كنت أتصارع مع القضايا الكبرى المتعلقة بالموت والحياة، وأشعر بالعذاب من نقص الإجابات التي أمتلكها عن معنى وهدف الحياة.

كنت أشعر بأنني مسجون وبأنني لا أعرف كيف أخرج من هذا السجن، أو من معه مفتاحه. كان سجني غير مرئي لأي شخص من الخارج، ولكنه كان حقيقي جدًا بالنسبة لي، أنا السجين المحبوس. كان سجنٌ من الوحدة والخوف، ولكن الشعور بالفراغ كان أسوأ ما فيه. كنت أشتاق للذهاب والنوم في فراشي في المساء للهرب من عذاب أفكاري.

في ٣ مايو ١٩٧٦ تغيرت حياتي للأبد. كان أخي هوارد قد ابتاع سيارة فيات بيضاء جديدة، وكان سيغادر بلدتنا في اليوم التالي للعمل بشركة للمقأولات لعدة أشهر. وركبنا السيارة معًا للقيام بدورة في المنطقة.

كنت أجلس في المقعد الخلفي مع هانك، وهو أحد أصدقاء هوارد بينما كان هوارد وأحد أصدقائه في المقدمة. وأتذكر كلمات هوارد لهانك حين قال: «أرجوك لا تتحدث عن الدين.» وقد لفت هذا انتباهي. وبينما كنا نتجول في سيارته في تلك الليلة في المناطق الريفية المجاورة، نظرت للسماء والسحب وتعجبت من روعتها. وبلا مبالاه قلت: «تُرى هل هناك إله؟»، ولا أذكر

حتى أنني كنت أنتظر إجابة من أحد؛ فقد كانت تلك مجرد عبارة أعبر بها عن التساؤل والانبهار.

وكانت إجابة هانك سريعة: «نعم هناك إله، وأنا أعرفه.» وشعرت بالذهول من كلماته. كيف يمكن للمرء أن يقول إنه **يعرف الله؟ ما معنى معرفة الله؟** يا لها من بداية للحوار! في تلك الليلة انتهى بنا المطاف أنا وهانك وحدنا في بدروم بيتنا. وكنت متحمسًا جدًا لأنني كنت أبحث طوال الليل عن فرصة لأتحدث فيها مع هانك بمفردنا لأسأله عما أريد.

كان هانك لطيفًا جدًا وغير دَيَّانٍ في كلامه، وأنا أتذكر أني أخبرته عن «نظريتي» عن الله وعن حاجتنا لأن نكون صالحين بدرجة كافية لنذهب للسماء حين نموت. ولكنه قال ببساطة وبهدوء: «لن تكون أبدًا صالحًا بدرجة كافية.» وقد رنت تلك الكلمات البسيطة بقوة في أعماقي، وعرفت أنه بلا شك على حق، لأني فشلت في بلوغ الكمال، وكنت أعلم في أعماق أعماقي أني خذلت الله، وأن الله كان قدوسٌ جدًا لدرجة لا تجعلني مؤهلا حتى للوقوف في محضره.

وبدون تفكير وبقلب ممتلئ بالألم سألته بسرعة: «وكيف يمكنني أن أصحح علاقتي مع الله؟». كنت أشعر بالإرتباك. **فلو لم تكن الأعمال الصالحة كافية فما هو الذي يمكن أن يكفي؟** كان هذا سؤال الأسئلة. كانت تلك هي اللحظة التي كنت انتظرها – اللحظة

التـي كنـت أُعَـدُّ لهـا سـلفًا. وبقلـق ولهفـة انتظـرت لأسـمع إجابتـه. **هـل سـيعني الأمـر هلاكـي الأبـدي؟ هـل هنـاك أي رجـاء؟** لا بـد أننـي كنـت أشـعر كالشـخص الـذي ينتظـر تشـخيص الطبيـب بشـأن مـرض خطيـر. **هـل هـذا قضـاء نهائـي؟** ولكـن هـذا الأمـر كان أكثـر أهميـة مـن أي مـرض إنسـاني لأنـي كنـت أنتظـر إجابـة تتعلـق بمصيـري الأبـدي.

أتذكـر أننـي كنـت أشـعر بحضـور الله فـي الغرفـة بطريقة لم أشـعر بهـا مـن قبـل مطلقًـا. مـن الصعـب وصـف هـذا، ولـم أشـعر بنفـس هـذا الشـعور القـوي مـرة أخـرى بعـد هـذه الليلـة. كنـت واقفًـا عنـد بـاب الأبديـة، وللحظـاتٍ بـدا الزمـن وكأنـه قـد توقـف. **هـل سـأُقبَلُ أم سـأُرفَضُ؟ مـاذا يعتقـد الله بشـأني؟ هـل هـو غاضـب منـي بسـبب فشـلي وأخطائـي؟**

شـارك هانـك الرسـالة معـي بشـجاعة وأصغيـت لـه بكل قلبـي حين قـال: «لـن يمكنـك أبـدًا أن تصبـح صالحًـا بدرجـة كافيـة، ولكـن الله أرسـل ابنـه يسـوع المسـيح – المسـيا – ليكـون ذبيحـة عـن خطايـاك – فلـو اختـرت أن تتـوب عـن خطايـك وتقبـل يسـوع المسـيح كـربّ ومُخلّـص، فسـتخلص.» أتذكـر أننـي فكـرت فـي أمريـن حينـذاك: الأول هـو أن هـذا هـو الحـق لأن هـذا هـو الأمـر الوحيـد الـذي بـدا لـي منطقيًـا. والأمـر الثانـي الـذي فكـرت فيـه هـو أننـي إن رفضـت هـذا العـرض فربمـا لا تواتينـي فرصـة أخـرى. وافقـت سـريعًا علـى أن أصلّـي وأقبـل ريسـوع كـربٍ ومخلـصٍ لـي. وبغـض النظـر

عن النتيجة لم يكن من الممكن أن أتراجع الآن بعد أن وجدت ما كنت أبحث عنه. كنت أريد أن أقبل الرب يسوع كمُخلّصٍ شخصي.

أخبرني هانك بأنه سيُصلّي صلاة نيابة عني، وقال لي أنني لو قلت «آمين» في نهاية الصلاة موافقًا على ما في هذه الصلاة فستكون هذه وكأنها صلاتي أنا. وكانت تلك طريقة من الطرق التي كنا نصلّي بها في المجمع حيث كان الكانتور (قائد الترتيل) يُصلّي صلاة ويقول الشعب «آمين». صلى هانك صلاة اعترف فيها بخطيتي، وبعدم قدرتي على أن أُخَلِّصَ ذاتي، وأعلن أنني أقبل يسوع كذبيحة عني وكمخلّص لي، ثم شكر الله على إرسال يسوع المسيح ليموت من أجل خطاياي ولأنه أقامه من الموت. حين أنتهى من الصلاة رفعت رأسي وكنت أريد ان أعبر عما يجيش بقلبي من مشاعر، ودون أن أدري كيف وجدت نفسي أقول: «أنا أؤمن، أنا أؤمن.».

في تلك الليلة خرجنا لنتمشى، وبينما كنت أتمشى شعرت بموجات قوية تملأني بسلام غير عادي يغمرني. وشعرت بأنني كنت مغمورًا في نهر من الحب. في هذا الوقت لم أشعر إلا بالنشاط الشديد. ورغم أن المستقبل كان يحمل في طياته رحلة طويلة مليئة بالتجارب، والتحديات إلا أنني في تلك الليلة استمتعت بسلام عميق لم أختبره من قبل. لاحقًا بدأت أتساءل **وماذا عن عائلتي؟ وماذا عن مجتمعي اليهودي؟ ماذا سيكون رأيهم فيَّ؟**

وبطريقة قد تبدو غريبة شعرت لأول مرة بأني يهودي حقيقي أكثر من أي وقت مضى. لقد كبرت وأنا أسمع قصص أسلافي العظماء وعلاقتهم بالله. والآن أصبحت أشعر بتواصل أعمق مع إله إبراهيم وإسحق ويعقوب. لقد شعرت أنني أصبحت ابن حقيقي لإبراهيم.

رحل هوارد في الصباح التالي للعمل في الشمال ولم أره إلا في نهاية الصيف. بعد أن سافر بعدة ليالٍ ركعت على ركبتي ويديَّ أمام بيتي واستودعت عائلتي بين يدي الله، وعلى الرغم من أنه كان عملا يعبّر عن يأسي أكثر منه عن إيماني إلا أن الله أكرم صلواتي. فقد أقبل هوارد للإيمان بالمسيح في هذا الصيف، وفي نهاية المطاف وثقت عائلتي أيضًا في المسيح.

أحد الأمور التي ظلت معي طوال السنوات الماضية كان تقديري العميق لخبرة خلاصي الشخصية، ورغبتي في أن أشارك المسيح مع الآخرين. هذا الكتاب وُلدَ عبر سنوات من الخبرات والمشاركات. لقد تمت صياغة هذا الكتاب ومحصه بنيران تجارب الحياة، وأيضًا بمجد الانتصارات. وعَبر هذا كله كان الله أمينًا معي، وهو وحده يستحق كل المجد. أصلّي أن يشجعك الله بينما تقرأ هذه الصفحات، وأصلّي أن تسمح الله بأن يستخدمك لتصبح «مغناطيس بين يديه».